

تفكيك الأمثلة اليهودية في المتخيل التاريخي في
رواية عناق الأفاعي لعز الدين جلاوجي

Deconstructing the Jewish Allegory in the Historical Imagination in Azeddine Jlaouji's Inaq Al-Afa'i

سهام حسن جواد السامرائي*

جامعة سامراء - (العراق) Seham.hasan@uosamarra.edu.iq

تاريخ النشر: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/06/10

تاريخ الاستلام: 2025/05/08

Abstract: The research problem centers around the image of the Jew in the Arabic novel, which is an important issue. Novelists have been keen to portray the Jew in their works when addressing issues concerning or relating to Jews. Among these writers is the novelist Azeddine Jlaouji, who depicted a realistic image of Jews during the French occupation of Algeria. Thus, the research problem lies in that image presented by Azeddine Jlaouji in his novel Inaq Al-Afa'i, where he portrayed the Jew as supporting the French occupier in every way and standing against his fellow countrymen.

This issue can be encapsulated in a main research question supported by clarifying sub-questions: What is the author's stance on Algerian Jews? What image did the novelist present of the Algerian Jew in his novel? How did the image of the Jew appear in this novel?, What aspects did the author seek to highlight in portraying this Jew?

Keywords: Inaq Al-Afa'i; Azeddine Jlaouji; Algerian novel; image of the Jew; narrative representation.

الملخص:

تتمحور إشكالية البحث حول صورة اليهودي في الرواية العربية، وهي إشكالية مهمة، إذ حرص الروائيون على تمثيل اليهودي في رواياتهم عند الحديث عن قضايا تخص اليهود، أو تتعلق بهم، ومنهم الروائي (عزالدين جلاوجي) الذي رسم صورة تناسب الواقع الحقيقي لهم أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، لذا تكمن مشكلة البحث في تلك الصورة التي رسمها الروائي (عزالدين جلاوجي) في روايته عناق الأفاعي (الذي ساند المحتل الفرنسي بكل الصور ووقف معه ضد أبناء وطنه، ويمكن لنا أن نحدد المشكلة بسؤال رئيس ترفده أسئلة توضيحية: - ما موقف الكاتب من اليهود الجزائريين؟ وما الصورة التي رسمها الروائي في روايته لليهودي الجزائري؟. كيف ظهرت صورة اليهودي في هذه الرواية؟. وما الجوانب التي سعى الكاتب إلى إبرازها في صورة ذلك اليهودي؟

الكلمات المفتاحية: عناق الأفاعي؛ عز الدين جلاوجي؛ الرواية الجزائرية؛ صورة اليهودي؛ التمثيل السردي.

* سهام حسن جواد السامرائي .

مقدمة:

رواية (عنق الأفاعي) تُعد نسيجًا متشابكًا ومتداخلًا، في أحداثها وشخصياتها وبنيتها الفنية والموضوعية، رواية تنطلق من التاريخ ومساراته الزمنية. حاولت أن تقدم الإنسان الجزائري المضحي بكل ما يملك من أجل المحافظة على انتمائه وعمقه الحضاري العربي الإسلامي، ومن أجل الإبقاء على ذاكرته نقية ناصعة من كل تشويه. والكاتب لم يجعل من الرواية كتابًا في التاريخ، بل تجاوز الفكرة النمطية للتاريخ المتسم بالجمود والجفاف، وقدمه بحلة روائية مدهشة تنبض بالمشاعر والأحاسيس الحيوية الخلاقة التي تجذب القارئ، وتدفعه نحو التطلع للرواية وكأنها قصة رومانسية. والحقيقة أن الرواية لا تتعلق بالتاريخ فقط، وإنما بسائر الأبعاد الإنسانية التي تتخلل العملية التاريخية. أكدت الرواية أن العثمانيين طوال ثلاثة قرون (1518-1830) من حكمهم الجزائر كانوا قد غلبوا الحضارة العربية فيها، وتعاملوا مع أهلها بكل قسوة ووحشية، خاصة في المراحل المفصلية؛ إذ كشفت الرواية تحاذل العثمانيين، وتسليمهم الجزائر للغزاة الفرنسيين مقابل الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم. وفي العلاقات المعقدة بين المستعمر الفرنسي وبين الشعب الجزائري وسائر المغرب والمشرق العربي المستهدف بالتهب والتقسيم ومحاولة السيطرة عليه ونهب خيراته وثرواته .

وتناولت رواية (عنق الأفاعي) دور اليهود في الجزائر، ودورهم في الحملة الفرنسية، وهذا ما سنكشف عنه في هذه الورقة البحثية.

1. التاريخ والسرد:

تشكل العلاقة بين التاريخ والسرد معضلة حاولت معظم المدونات الفلسفية والتاريخية والجمالية أن تضع لها حدودًا ورسومًا، فقد كان الزمان أو عنصر الزمان العنصر المشترك بين السرد والفلسفة والتاريخ، وكل حقل من هذه الحقول حاولت أن تدجنه لصالح أهدافها الفلسفية، أو التاريخية، أو السردية، فمنذ الفلسفة اليونانية، كان الزمان معضلة فلسفية. حاول أرسطو أن يتجاوز في طرحه طرح المؤرخين في عصره الذين ذهبوا إلى أن التاريخ لحظة توثيق تحافظ على الحدث التاريخي وتصونه من النسيان، حتى أنهم وضعوا له حارسا هو ما سُمي بحارس الأزمان أو إله، ولكن أرسطو عمل على أن يكون الزمان عنصراً أنطولوجياً متجسداً بصورة موضوعية في الكون، وأصبح الزمان النفسي أو الذاتي عنصراً مهماً. ومن بعد أوغسطين أصبح للزمان وجهان؛ الأول موضوعي، والثاني ذاتي، والذي حاولت الفلسفة من بعده وجود مشترك إلى أن تم في عصر الحداثة تكوين علم التاريخ الذي أخضع الزمان لتحديد توثيق وذا صفة جماعية، وبذلك أخذ التاريخ معنى التوثيق لحدث جماعي، في مقابل السيرة الذاتية والتي تمثل حدثاً فردياً ذاتياً، وعندما جاء بول ريكور جمع بين التاريخ و السيرة ضمن مفهوم "الهوية السردية"، وتشكل المتخيل التاريخي بوصفه تجلياً لفعل إدماجي يجمع بين الذاتي والموضوعي في لحظة امتصاص وتخوير واجترار للحدث التاريخي لصالح يوتوبيا المؤلف، وقدرته في تقديم عوالم قابلة لتعدد

التأويلات والتي يستجيب لها المتلقي في كل عصر وزمان ومكان.

2 . اليهودي في الأدب العالمي :

قبل أن تتشكل صورة اليهودي في الأدب العربي سلبيًا أو إيجابيًا، لا بد أن نذكر أن صورته ظهرت وتشكلت في الأدب الغربي قبل ذلك بكثير، وقد ساعدت عدة عوامل على تشكّل تلك الصورة منها: دينية وسياسية وتاريخية... إلخ لقد تمّ تنميط صورة الشخصية اليهودية، ووسمها بملامح فرضتها سلوكياتهم التي انعكست في مزايا الآخرين؛ إذ ظهرت شخصيتهم في قصص التراث الديني وقامت في أغلبها على جملة من الحقائق التاريخية، لتظهر في صورة الغدر والقتل، فاليهود لم يتوانوا حتى عن قتل أنبيائهم، ناهيك عن معاداتهم للمسيحية وغدرهم بنبيها، ومن بعدها تفرغوا لحبك الدسائس والمؤامرات للإيقاع بالإسلام والمسلمين.

كما أضاف الأدب العالمي ملامح جديدة لتلك الشخصية، تجلّت في جعلها الطرف المناقض للخير والإحسان، أو الشخص المفطور على الجشع وحب المال، وذلك من خلال شخصية (شايлок) في (تاجر البندقية) لشكسبير، ومربي اللصوص (فاجن) الذي يجمع الشيطانية والشر في (أوليفر تويست) لتشارلك ديكنز (الأحمد، 2019، الصفحات 34-35).

3 . اليهودي في رواية عناق الأفاعي:

عمد الراوي إلى استرجاع أحداث من تاريخ الجزائر إبان الاحتلال العثماني، مرورًا بالاحتلال الفرنسي وأظهر تمسك الشعب الجزائري بمبادئ التسامح والتعايش السلمي، و تشبّهه بترائه وثقافته وعاداته وتقاليده ووحدة ترابه. وما يحسب للروائي أنّه أظهر الصورة المشرقة لأهالي الجزائر الذين ضحوا بدمائهم لأجل الاستقلال ومجدهم وأشاد بأعمالهم.

على الرغم من أنّ المستعمر يحاول "أنّ يمحو هوية الأنا الوطني من أجل نشر ثقافته ولغته وتكريس هويته. ولكن تلك الدراسة الاستعمارية كانت في المقابل عاملاً مساعداً للأنا الوطني ليتحصن أكثر بهويته ويدافع عنها بكل ما يملك" (عبود، 2016، صفحة 124).

لقد مهد اليهود الطريق أمام الفرنسيين ليحتلوا الجزائر، ثم صاروا طرفًا في عملية الاحتلال حين تحولوا إلى واسطة بينهم وبين الأهالي، نظرًا لمعرفتهم باللغتين العربية والفرنسية، واستغلوا هذه المناصب لينتقموا من الأتراك ومن العنصر المحلي، إذ لم يكن صعبًا عليهم تحريض الجنود ضد كل من يرفض أوامرهم، أو يمتنع عن النزول عمّا يطلبون (صحراوي، 2013). وكان هدف اليهود هو إثبات حضورهم على الساحة السياسية للحفاظ على مصالحهم في حقبة حسّاسة من تاريخ الجزائر، ميّزها انهيار الحكم العثماني بها. وقد كتب

الحاخام فيربو فيما بعد: "إنَّ المنتصرين الحقيقيين لم يكونوا الفرنسيين، وإنما إخواننا يهود الجزائر الذين أعطاهم الجنرال ديورمون وخلفاؤه ما لم يعطوا أبداً للمسلمين" (صحراوي، 2013، صفحة 134)

ومن باب إظهار الموقف المعادي للجزائر، المساند لفرنسا، عمل اليهود على إحباط عمليات المقاومة، وحين قرر باي وهران الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين، استخدم ماردوخي عمار، وفي المقابل بعث ديورمون قائد الحملة الفرنسية، يهوديين للتفاوض مع الباي، وعلى الرغم من أنَّ هذا كَلَّه فشل، فإنَّ سكان وهران عدّوا اليهود سبباً في نكبتهم هذه (صحراوي، 2019، صفحة 134)

وانجرف اليهود ضمن تيار السلب والنهب الذي ميّز الحملة الفرنسية، مستعملين التهديد والوعيد للضغط على الناس، فقد "حمل اليهودي بكري وكيل الحرج على أن يبيع له أثاثه الثمين وأنواعاً مختلفة من أمتعة الزينة، تقدر قيمتها بحوالي 50 ألف فرنك، بمبلغ 40 ألف فرنك، ولم يدفع له ذلك نقداً، وإنما وقع له سنداً لأجل معلوم، ثم نُفي وكيل الحرج هذا، وبقيت القيمة عند بكري" (خوجة، 1982، صفحة 2016). أما كنوز (الداي) التي كانت في القصبة، فلم تسلم من اليهود، إذ هم الذين دلّوا سلطات الاحتلال عن المكان الذي خبئت فيه (دادة، 1985، صفحة 11). وأما كنوزه التي حفظتها معاهدة الاستسلام، وأعطته حقّ نقلها، فقد نُقل القليل منها إلى إيطاليا، حيث (الداي) نفسه، وكان (بكري وابن دوران)، هما اللذان تكفلا بذلك، لكن (بكري) احتلس منها مليون فرنك على الأقل، في حين بلغت قيمة الأموال المسروقة من ممتلكات الداوي عشرات الملايين من الجواهر والذهب (فوزي، 2004، صفحة 280).

وهذا ما لمسناه في (رواية عناق الأفاعي) بشكل واضح وصريح في حوار دار بين (كوهين) اليهودي الجزائري وبين القائد الفرنسي (فيليب) يقول الروائي: "أتى كوهين على ما في الكأس وقال:

- والله لولا حبّ فرنسا وأهلها، ما أقدمت على هذا الصنيع، عشنا قرونًا في هذه الأرض آمنين سالمين،

محفوظي العرض والنفس والمال والدين، ولكن ..

قام كوهين بعد أن أخرج عصا من كيسه، وراح يتتبع خطوط الخريطة قائلاً:

في هذه الخريطة رسم دقيق لمنطقة سيدي فرج، هنا كما تلاحظون، ستجدون في هذه الأوراق وحتى على الخريطة إحصائيات دقيقة عن الحصون والقلاع، وعن عدد مَنْ فيها من المقاتلين، وعن كمية الأسلحة ونوعها، وحتى عن المندسين فيها من العملاء". (جلاوي، 2021، الصفحات 90-97).

وأجاد الروائي في هذا النص، إظهار الصورة السلبية الحقيقية البشعة للشخصية اليهودية بكل نقائصها ومثالبها من غدر وخيانة وعمالة ووضاعة وطمع، فالروائي وعلى لسان اليهودي (كوهين) وهو

يحاور القائد الفرنسي (فليب) يعترف ويؤكد له بأن يهود الجزائر عاشوا قرونًا آمنين سالمين، محفوظي العرض والنفس والمال والدين لكن حبّهم لفرنسا هو ما جعلهم يقدمون على الخيانة والغدر؛ والحقيقة ربّما يكون السبب في ذلك سببًا عقيدتيًا، وهو توافق الديانتين اليهودية والمسيحية، في بعض الأمور العقيدية، فاليهود والنصارى ينسبون لله الولد، قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم، يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أتى يؤفكون، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون﴾ التوبة: 30-31. وهنا استوى اليهود والنصارى مع الكفار في شركهم وكفرهم، بنسبة الولد لله تعالى، وهذا من أعظم الظلم والكفر، بخلاف المسلمين الذين يعتقدون تفرد الله تعالى بالإلهية والربوبية والكمال المطلق، وأنّ كلّ ما في السموات والأرض إنّما هو عبد لله خلقه من العدم. ويجتمع اليهود والنصارى أيضًا في اتخاذ علمائهم وعبادهم أربابًا من دون الله، يحلّون لهم ما حرّم الله، ويحرّمون عليهم ما أحلّ الله، ويشرّعون لهم من الشرائع والأقوال المناهية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. ممّا جعلهم يقدمون على ما فعلوه من تفضيل فرنسا المسيحية على الجزائر العربية الإسلامية، "والله لولا حبّ فرنسا وأهلها ما أقدمت على هذا الصنيع عشنا قرونًا في هذه الأرض آمنين سالمين، محفوظي العرض والنفس والمال والدين، ولكن .. ورفع فيه الجميع أعينهم بشغفٍ وقد صمت، واصل ضاحكًا ... ولكن من الحبّ ما قتل"، ويثبت أيضًا هذا الاعتراف من اليهودي (كوهين) أنّ يهود الجزائر لا ينتمون تاريخيًا لهذه الأرض؛ أي أنّهم ليسوا من السكان الأصليين للجزائر، فالحقائق التاريخية تثبت "أنّ اليهود كانوا غير مستقرين في شمال أفريقيا بشكلٍ دائمٍ، فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم، ثم يعودون إلى المناطق التي قدموا منها" (صحراوي، 2019، صفحة 134). فعلى الرغم من عضوية اليهود في المجتمع الجزائري، نجدهم "وقفوا مساندين للحملة الفرنسية عام 1830م منذ بدايتها. ذلك أنّ بعض يهود الجزائر الذين فرّوا إلى مرسيليا في أعقاب أحداث 1805م، عادوا ك مترجمين مع الجيش الفرنسي في 1830م، ونزل بقية اليهود إلى شوارع مدينة الجزائر، يقبلون أرجل الجنود الفرنسيين ترحيبًا بهم، ووضع بعض كبارهم مثل بكري وابن دوران أنفسهم تحت تصرف ديورمون" (Bonnafont, p. 107). وقد نشرت مجلة Archives-juives عام 2005 مقالًا لفاليري أصان (Vallerie Assan) جاء فيه حديث واضح عن استمتاع يهود مدينة الجزائر باحتلالها عام 1830م، وفرحتهم بالنصر الفرنسي الذي أعلن لهم عن نهاية سيطرة النظام الاستبدادي المسيّر من سلطة الأتراك منذ عدّة قرون (Valeri, 2005، صفحة 38)

ولا ينظر اليهود للجزائر كوطن قومي لهم، المعبد هو وطنهم أينما عاشوا ففي مقطع سردي يذكر الراوي تفحص (كوهين) لقصر (علي القلعي)، وما جرى من حوارٍ بينه وبين رفيقه الفرنسي (فيليب) وحديثه له عن أصل القصر الذي اشتراه الجد (علي بن الحسين) وسمّاه الناس القلعة، ونسبوه هو إليها فقالوا: علي القلعي، قال الراوي:

"لا شيء مجرد نزوة.

ردّ كوهين، وانطلقا باتجاه المدينة.

لقد كان ردّ كوهين مجانبًا للحقيقة التي يضمّرها، إذ علم من روايات مختلفة أنّ مكان القصر كان كنيسًا يهوديًا صغيرًا، أقامته ثلاث عوائل في منخفضٍ من الأرض لممارسة العبادة، وحوله أقامت بيوتها وأحاطتها بأشجار سرو، وفي الأعلى بنت حولها سورًا مرتفعًا، جعلها بمعزل تام عن الناس جميعًا، غير أنّ زلزالا رهيبًا ضرب المكان، فدمّر الكنيس والبيوت وطمر الجميع، ومع الأيام سويت بهم الأرض، إلى أن اشترى القلعي الجد السهول وأقام قصره قريبًا من الكنيس" (جلاوي، 2021، صفحة 82).

والراوي العليم يظهر حقيقة ما يضمّره (كوهين) في صدره، أصل القلعة كان كنيسًا بنته ثلاث عوائل يهودية للتعبّد فيه، كوهين/ اليهودي الآن في أرض الشتات/ الجزائر، ويتعامل مع مبدإ ديني، المعبد هو وطنه ليس لديه أرض، المعبد فقط يمثّل الوطن بالنسبة إلى اليهودي، فاليهودي هنا يريد أن يؤسّس حلمه، ويريد أن يحقق انتقامه فقط لا غير، لا يريد أرضًا، وإنّما يريد معبدًا ممّا دفعه للتعاون مع الغزاة الفرنسيين، وتقديم كل ما يستطيع لهم في سبيل تحقيق ذلك الحلم المنشود.

وفي مقطع سردي طويل آخر يبدع الروائي في تجسيد شخصية اليهودي الجزائري الخائن المتعاون مع المحتل الحاقد على البلد الذي ترعرع وعاش فيه قال الراوي: "أيّ خيرٍ هذا يا كوهين؟ وأنت لك به؟

فرك كوهين يديه ثم رجع بحسده إلى الخلف وقال:

- أنا يا سيدي تاجر أطوف كلّ أمصار الأرض، لكّي أصدقك، هذه الخيرات التي ترى هي النزر اليسير ممّا في هذا البلد، فعضّوا عليه بالنواجذ، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تنعموا في القهر، هذا شعب عنيد لا تقهره إلا كثرة الخناجر والسهام والرماح، كثرة الطعنات". (جلاوي، 2021، الصفحات 172-174).

أجاد الروائي تفكيك صورة الشخصية اليهودية/ الجزائرية؛ إذ نجده يبدع في إظهار شخصية اليهودي الخائن لوطنه، وخيانة الوطن لها عدّة صور وأشكال، وليست متمثلة في إعانة عدو ما في احتلال جزء من

الأرض فحسب؛ فقد تكون في معاونة الأعداء على الاحتلال الفكري، أو التنازل عن المبادئ و القيم، كما قد تتجلى في بيع المواقف أو المعلومات أو التآمر والتجسس لصالح العدو، أو في الاستقواء بالجهات الأجنبية، سواء كانت منظمات أو جماعات، أو أجهزة إعلامية. وهذه النظرة هي نظرة الكاتب لليهودي/ الجزائري، أي: ينظر إليه كخائن للوطن الذي ينتمي إليه، لأنهم قابلوا احتضان الجزائر لهم بالخيانة والوقوف مع المستعمر وكان لهم الدور الكبير في سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي.

ومن صور الخيانة التي اتسمت بها شخصية اليهودي (كوهين) التحريض على الإبادة والقتل للشعب الجزائري ففي حوار جرى بين كوهين والجنرال الفرنسي (تريزل) يقول له محرضاً: "بمجرد أن أنهى الجنرال تريزل اجتماعه مع الجنرال دي ميشال وودّعه وهو يغادر وهران، كان كوهين يلحّ في مقابلته، وهو يحمل إليه هدايا ثمينة باسم كل يهود المدينة، قال الجنرال تريزل وقد انبسطت أساريه رغم الإرهاق الذي بدا على ملامحه:

- نحتاج دومًا لدعمكم ومساعدتكم.

قال كوهين وهو يهيمّ بالانصراف:

- كانت معاهدة الصلح التي أبرمها الجنرال دي ميشال خطأً استراتيجيًا، لا يخدمنا ولا يخدمكم، وأكثر يا سيدي، هؤلاء الهمج لا تردعهم إلا الإبادة" (جلالوجي، 2021، صفحة 321).

هكذا تظهر صورة اليهودي المحرض على قتل وإبادة الشعب الجزائري، على الرغم من اعترافه في نصوص سابقة أنه لم يجد من الشعب الجزائري غير المحبة والسلام، وفي ذلك دليل على تلبّس الروح العدوانية الشريرة للشخصية اليهودية ونظرتهم الدونية للغير.

وفي مقطع تحريضي آخر يقول (كوهين) للجنرال الفرنسي (تريزل) أن لا نجاح للفرنسيين إلا بإبادة الشوار الجزائريين؛ لأنهم -بحسب قوله- كطائر الفينيق الأسطوري ينتفض كل مرة من تحت الرماد ليعود إلى الحياة مرة أخرى أشدّ قوةً وبأسًا. "ربت الجنرال تريزل على كتف كوهين وقال:

- ها قد عدنا.

- قال الجنرال تريزل فأسرع كوهين يردّ في حماس:

- لن تنجحوا إلا بإبادتهم، ينتفضون كل مرة من تحت الرماد كطائر الفينيق الأسطوري، ليعودوا إلى الحياة مرة أخرى أشدّ قوةً، وأكثر عددًا وبأسًا، وماداموا كذلك، قد يشكّلون عليكم خطرًا ساحقًا، بل وقد يتسببوا في إبادتكم، والأدكى من يسبق يا سيادة الجنرال" (جلالوجي، 2021، صفحة 329)

في هذا المشهد الحوارى لا يريد الروائى فقط تفكيك شخصية اليهودى وإظهار حقيقته الدموية العدوانية المحرصة على القتل والدمار وسفك الدم، وإنما أراد الروائى إظهار العداء التاريخى بين العرب من جهة وبين الغرب من جهة أخرى؛ فالعداء ليس وليد ما حصل من خلاف بين فرنسا وبين حاكم الدولة العثمانية فى الجزائر وقتها عندما جعلوا من حادثة (المروحة) سبباً لاحتلال الجزائر، وإنما هو عداء تاريخى قديم، تمتد جذوره إلى ما قبل الإسلام، عندما هاجم الرومان مصر والشام وشمال أفريقيا ووضعوا يدهم عليها وما تبعها من تحرير لها على يد جحافل العرب والمسلمين الذين لم يكتفوا بتحرير أرضهم من الغزاة الطامعين، بل وصلت فتوحاتهم إلى القسطنطينية وإسبانيا وكادت أن تفتح (فينا وفرنسا).

وسعى الروائى إلى إبراز صفة أخرى من الصفات الذميمة التى اتسمت بها الشخصية اليهودية، ألا وهى الغدر وخيانة العهد؛ ففي حوار دار بين اليهودى (كوهين)، والجنرال الفرنسى (بيجو)، يحرّض كوهين الجنرال بيجو على عدم الالتزام بالعهد الموقع بينه وبين الأمير (عبد القادر الجزائرى) قائلاً: "تسم الجنرال بيجو وراح يعيد ما قاله (دوق دومال) بشأن إعجابه الشديد بشخصية الأمير عبد القادر، راح كوهين يتابعه بقلق وهو يربع ذراعيه، وحين صمت الجنرال بيجو، عجل كوهين يقول:

دعني من عواطفك سيادة الجنرال، وإن كنت أشك أصلاً أن لك عواطف، أنا أتحدث عن المستقبل، مستقبلنا ومستقبل فرنسا، يجب أن تقنع الجنرال دوق دومال بعدم الوفاء بالتزامه مع عبد القادر، لما فى ذلك من مخاطر تهدد فرنسا مستقبلاً" (جلاوي، 2021، صفحة 497).

ويعترف (كوهين) ويفتخر بخدماته التى قدّمها لفرنسا قبل الاحتلال، وكيف كان يُعدّ التقارير عن (الداي حسين) ومحيطه، وعن كلّ صغيرة وكبيرة فى مدينة الجزائر ويرسلها إليهم، وكيف كان له الدور الكبير فى إسقاط مدينة العاصمة والاستيلاء عليها، ومشاركته فى إخماد ثورة عبد القادر قائلاً:

"وجد كوهين الفرصة مناسبة ليسرد على مسمع الجنرال هيريون مسيرته الطويلة التى بدأت قبل الاحتلال حين كان يقدّم التقارير الدقيقة عن الداى حسين ومحيطه، وعن كلّ صغيرة وكبيرة فى مدينة الجزائر ثم حين ساهم بفاعلية فى إسقاط العاصمة والاستيلاء عليها، وحين غادر سريعاً إلى وهران للمشاركة فى إخماد ثورة عبد القادر" (جلاوي، 2021، صفحة 567).

كوهين اشتغل جاسوساً لفرنسا قبل احتلالها للجزائر، وفى ذلك دليل على أن كوهين لم يكن مجبراً أو مضطراً للخيانة؛ بل إن كلّ ما قام بفعله قام به عن قناعة وقصد وتعمد مسبقاً.

وأظهر الروائى براعة ودقة عالية، كيف وظّف (كوهين) أريثيل اليهودية واتخذها جسراً للوصول إلى

مآربه الخسيسة، ففي حوارٍ دار بين (كوهين) والجنرال الفرنسي الدوق (دور روفيجو)، يشرح (كوهين) قصة تخنيده لليهودية (أريئيل) وبيعها للدائي (حسين) على أنّها مسلمة يتيمة اشتراها من سوق النخاسة بعد أن طوّح بها اليّتم، والحقيقة أنّه سعى إلى زرعها في دار الدائي حسين ليجعلها عيناً له ولفرنسا قائلاً:

((مدّ الجنرال الدوق دور روفيجو يده مصافحاً فقبّل يدها وقال متسائلاً:

وهذه أيضاً من خيرات هذه الأرض؟

ضحك كوهين وفليب، واصل الجنرال:

- أنت تدهشني أيّها الساحر.

قام كوهين فوقف إلى جوار الفتاة وقال:

هل تدرك يا سيدي أنّ نصف النصر الذي حقّقه فرنسا كان بفضل هذه الساحرة؟". (جلالوجي، 2021، الصفحات 175-177).

أراد الكاتب في هذا النص أن يبيّن منزلة المرأة اليهودية، ومكانتها في الفكر الديني والموروث اليهودي، مقارنةً بالمرأة العربية في الفكر الديني والموروث العربي المسلم، "فمكانة المرأة اليهودية وفق النص الديني التوراتي جعلت بمنزلة أدنى من منزلة الرجل اليهودي، وأصبحت شيئاً من ممتلكاته، ووسيلة من وسائله لتحقيق مآربه وغاياته الخاصة، وهي بسلبياتها وإيجابياتها جزء من التصور العقدي الذي يؤمن به اليهود" (الهلول، 2004، الصفحات doc-gabr-ahallul.blogspot.com). فالمرأة على وفق المنظور اليهودي "وسيلة، وأيّة وسيلة لأيّة غاية؟! وسيلة رخيصة وغاية أرخص، يخجل المرء من ذكرها عادة" (الهلول، 2004)، هي رمز الخطيئة التي يُقبل استخدامها بأيّ صورة، وبعدّ استغلال أنوثة المرأة وقُدرتها على التأثير، أحد أهم الأسس التي يقوم عليها مجتمع اليهود ولا يُطبّق على الجميع، وإنّما على مجموعة مُختارة يمكنها القيام بهذا الدور. وتاريخ استغلال اليهوديات بصورة مُتدنية، يحمل العديد من النماذج، منها: استخدام فتاة لإغواء الكاهن (عزرا)، لكتابة اللغة العبرية، وهو ما تمّ وقت السبي البابلي في العراق، وفي واقعة إسقاط الملك الفارسي (قورش)، بعد أن أوقعت به الفتاة اليهودية (أستر) (عصمت 2020 ،). وهنا استغل اليهودي (كوهين) آرائيل اليهودية أسوأ استغلال لتحقيق مآربه والوصول إلى غاياته وأهدافه الدنيئة. والروائي في هذا النص أراد إظهار حقيقة موقف اليهود من المرأة وأنّها ليست سوى سلعة ووسيلة للمتاجرة، وأداة للوصول إلى طموحاتهم وغاياتهم وأهدافهم. فيما أظهر الروائي في الجانب المقابل وفي عدّة مشاهد من أحداث الرواية

الصورة المشرقة البهيّة للمرأة العربية الجزائرية المسلمة. المرأة الأبية المناضلة المجاهدة المحافظة على شرفها وعفتها والمشاركة لشقيقها الرجل في الدفاع والقتال ضد المحتل الغازي الفرنسي.

4. الخاتمة:

رواية عناق الأفاعي للكاتب (عز الدين جلاوجي) تشكّل محطة بارزة ليس على صعيد المشهد الروائي الجزائري فحسب، بل على صعيد المشهد الروائي العربي أيضاً، يستعير الكاتب مداد المؤرخ وخيال الروائي ليجسّد رواية تنهل من التاريخ الذي جمّده الكتب التاريخية الرسمية باستعادة صدها المشتّت في الذاكرة الجمعية للأفراد والأمكنة، في سرد وتوثيق مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي، ليجبّكها بمهارة ودقة عاليتين يختلط فيها الواقع بالتخييل في طعم سردي مشحون بالدهشة واللذة والمتعة والإثارة.

ورواية (عناق الأفاعي) ملحمة تضاف إلى المطولات السردية العربية، وتعدّ أعمق منجز سردي جزائري، رصدت الإنسان الجزائري متشبّثاً بأرضه وذاته ودينه ولغته وانتمائه لحضارته ولجذوره، محافظاً على ذاكرته على الرغم من وحشية الاستعمار، وهي إضافة إلى ذلك اشتغال على اللغة والموروث وتحليق في عوالم الأسطورة والعجائبية.

ويعدّ عز الدين جلاوجي من أبرز الأسماء في حقل التجربة الأدبية في الجزائر والوطن العربي، والذي تنماز أعماله بروافد إبداعية متنوعة وثرية بالمرجعيات والدلالات.

5. مراجع البحث:

1. Assan Valeri. (2005). *Lexode des juifs de Mascara, un episode de la guerre entre Abd el-kader et la France, Archives juives.*
2. Bonnafont. (بلا تاريخ). *Douze ans en Alerie, 1830 a 182* الفرنسية بين الإدارة الجزائرية (نقلا عن يهود الجزائر بين الإدارة الفرنسية 1830 a 182). Librairrae de la societe des Gens de lettres 1880. *والحركة الصهيونية*.
3. اماني عصمت. (17 اغسطس، 2020). نجس وعورة وساعة الصورة الخفية للمرأة اليهودية. تم الاسترداد من masr net.
4. أوريدة عبود. (ديسمبر، 2016). فلسفة الآخر في الرواية الجزائرية. مجلة الأثر (27)، صفحة 124.
5. جبر الهلول. (بلا تاريخ). مكانة المرأة اليهودية وفق النص التوراتي. تم الاسترداد من doc-gabr-alhallul.blogspot.com.
6. جبر الهلول. (بلا تاريخ). مكانة المرأة اليهودية وفق النص التوراتي. تم الاسترداد من doc-gabr-alhallul.blogspot.com.
7. حمدان خوجة. (1982). المرأة (الإصدار 2). (محمد العربي الزيري، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
8. زياد الأحمد. (2019). تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية. مجلة الجديد، الصفحات 34-35.

9. سعد الله فوزي. (2004). *يهود الجزائر أولئك المجهولون* (الإصدار 2). شركة دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع.
10. عز الدين جلاوجي. (2021). *عناق الأفاعي*. الجزائر: دار المنتهى.
11. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الافاعي*.
12. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الافاعي*.
13. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الأفاعي*.
14. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الأفاعي*.
15. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الأفاعي*.
16. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الأفاعي*.
17. عز الدين جلاوجي. (بلا تاريخ). *عناق الأفاعي*.
18. كمال بن صحراوي. (2013). *يهود الجزائر بين الادارة الفرنسية و الحركة الصهيونية*. مجلة *الخلدونية*، 6، صفحة 134.
19. كمال بن صحراوي. (سبتمبر، 2013). *يهود الجزائر بين الإدارة الفرنسية و الحركة الصهيونية*. مجلة *الخلدونية*.
20. كمال بن صحراوي. (2019). *يهود الجزائر بين الادارة الفرنسية و الحركة الصهيونية*. صفحة 134.
21. كمال بن صحراوي. (بلا تاريخ). *يهود الجزائر بين الإدارة الفرنسية و الحركة الصهيونية*.
22. محمد دادة. (1985). *اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع 18 حتى 1830)* - رسالة ماجستير. 11. دمشق، جامعة دمشق، سوريا.

